البابيون في التاريخ

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

وهي مقالة تاريخية ممتعة نشرتها مجلة العرفان الصيداوية

في المجلد ٢٠-٢١ لسنة ١٣٤٩

ثم طبعت على كاغد مستقل

الطبعة الاولى

١٣٤٩ هـ ☆ مطبعة العرفان : صيدا ☆ ١٩٣١ م

كلمة

تكرم حضرة حجة الاسلام العميد الكبير والإمام الخطير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فوضع المقدمة التالية لهذه الرسالة ننشرها شاكرين لحضرته عطفه الأبوي :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الحسني كاتب متفنن لا يزال يطرق المواضيع التي تتطلع النفوس اليها ، ويرغب القرآء في الوقوف عليها ، وربما سدد يراعه نحو اوسع موضوع فيأتيك منه بصورة مصغرة ويفتح لـك نافذة مـن البيان تتطلع منها على كل ما يهمك فيه " ومن ذلك هـذه الرسالة الوجيزة التي بحث فيها عن احوال (البابيه) فقد اصحر بهاعن الحقائق الناصعة باوجزبيان واخذبالموضوع من اهم جهاته ، وادق خصوصياته لا زال في نشاط لخدمة الادب والتاريخ معززاً بالتوفيق والكرامة إن شاء الله

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

البابيون في التاريخ

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

وهي مقالة تاريخية ممتعة نشرتها مجلة العرفان الصيداوية

في المجلد ٢٠١١ لسنة ١٣٤٩

ثم طبعت على كاغد مستقل

الطبعة الاولى

١٣٤٩هـ * مطبعة العرفان : صيدا * ١٩٣٠م



عباس افندي البها في شبيبته

عباس افندي البها زعيم [البهائيين] المتوفى في شيخوخته



ومعه حفيده وخليفته شوقي افندي الرباني



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الفكر والآراء كسائر الكائنات الحية التي تتكون وتنمو وتتطلب لتكوينها ونموها ظروفا واحوالا خاصة . والفكر الدينية قد تكون من اسرع ما يتكون وينمو من بين الفكر ومن اقل ما يتطلب جهودا تبذل لنشوئه ونموه.فقد تبقى الفكرة العلمية والفكرة الاجتماعية طيلة عصور وازمان لا تستطيع الظهورخلالها أو تظهر ولا تقدر على النمو فيها او تنمو ولكنها لا تجد ظروفا تلائمها وهكذا تبقى محدودة . اماالفكرة الدينية فسرعان ما تتكون وتنمو وتخلق لنفسها ظروفا تساعدها على الانتشار وفي التاريخ من الحوادث مايكفي شاهدا على صحة ما نقول . لهذا فلا عجب اذا شاهدنا الفكرة البابية – وهي وليدة العصر الحاضر– تجد مغرسا خصبا في اذهان بعض الناس وتنتشر انتشارا سريعا حتى بين الأمم الراقية وتجد من افكار الكتاب وأقلام المحررين مجالا للأخذ والرد فتكون من مواضيع البحث ونقاط التمحيص والتدقيق وقد تترقى بها الحال فتأخذ صبغة علمية او مبدءاً سياسيا يساعدها على ان تنتشر بأوسع من ذلك

— مدخل البحث —

ونحن إذا ما حاولنا ان ندرس عقيدة او فكرة او مذهبا فمن المستحيل علينا ان نصل الى حقيقة تلك الأشياء دون ان نقف على حياة الشخص الذي فكر بها وعلى الظروف التي احاطت به وخلقت منه رجلا يتجه هذا الاتجاه الخاص في تفكيره . وحياة (علي محمد) منشئ الفكرة البابية على ما هي عليه من قرب التاريخ ووفرة المصادر التي تبحث عنها ، لا تزال رمزا مقفلا ونقطة غامضة ولا تزال آراء الباحثين مختلفة ومتباينة في تحديد وتحليل العوامل التي كونت هذا المذهب والظروف التي ساعدته على الانتشار .

أما نحن فسنعقب في بحثنا الاصول العلمية الموضوعة لدراسة الفكر وتحليل المذاهب والعقائد وسنضع حياة هذا الرجل الغامضة موضع البحث والتمحيص فنحللها تحليلا علميا بقدر المستطاع لنتوصل الى نتيجة نرجو ان تكون صحيحة ومرضية في عين الوقت . وما غاية البحث الا الوصول الى الحقيقة الناصعة التي ستضاف الى سجل الحقائق العلمية الخالدة

— عوامل النشوء للمذهب البابي —

اوضحنا ونوضح الآن ان القرن الثالث عشر للهجرة كان مثارا لنزعات وفكر ومذاهب مختلفة وكانت كربلا والنجف والهند وجزيرة العرب وبلاد إيران المهد الوحيد لنشوء هذه الفكر وتنازعها . ومعلوم من طبع الشعب الفارسي انه سريع التأثر متناه في العقيدة مغال في

آرائه ومبادئه . وفكرة البابية بشكلها المبحوث عنه لم تتحدد إلا في ايران وان كان بذرها الاول انما بذر في كربلا . فقد كانت الفرقة الباطنية التي نشأت في القرن الثاني للهجرة وتطورت بعد ذلك الى ان ظهرت فكرة الشيخية والكشفية اساسا للفكرة البابية والباحث في اعماق التاريخ يعلم الاسباب التي دعت الى ظهور الفكرة الباطنية (راجع كتاب فجر الاسلام) ومن هنا حصل اشتباه للبعض فرأى ان الفرقة البابية فرقة من فرق الاسلام مع ان كل ما فيها من التعاليم لا علاقة له بالدين الاسلامي إلا كعلاقة بقية الاديان به . و (علي محمد) وان تلقى دروسه الاولى في كربلا على اصول الشيخية (او الباطنية) ولكنه لم يجد القبول والترويج الا في بلاد إيران .

والذي يهمنا قبل كل شيء ان نتحرى الاسباب التي خلقت هذه النزعة في نفس رجل هذا المذهب ومؤسسه وان نلتمس من دراسة حياته ما يوضح لنا التطورات التي طرأت عليه ولا ننسى ان الرجل وان كان ينتمي بنسبه الى البيت النبوي ، الا ان نشأته كانت في بلاد إيران وفي بيت من بيوت الثروة والجاه فيها وايران في ذلك الوقت كانت تلتمس لها فكرة جديدة كهذه لتقوم في وجه الاستعمار وتثور على السلطة المستبدة . وان حياته الفكرية لم تأت اليه عن طريق الوراثة فقد مات ابوه (السيد محمد رضا الشيرازي) وهو طفل في الثالثة من عمره ، وترعرع وهو تحت وصاية خاله (المرزه علي) ذلك الرجل الذي كان مثريا وتاجرا معروفاً في إيران . ولا ننسى ان (شيراز) كانت من عواصم العلم في إيران يومئذ وكان لتمركز النهضة العلمية في كربلا والنجف اثر على عواصم العلم في ايران عامة وعلى (شيراز) خاصة فقد وقفت فيها الحركة العلمية بعد ان نزح علماء الدين إلى كربلا والنجف وكان في وقوفها وقوف الحركة التجارية وتعطيل لأسواق التجارة وهذا هو السبب الذي دعا خال مؤسس المذهب البابي لأن ينتقل الى (ابو شهر) المدينة الساحلية التي كانت من نقاط الاتصال البحري في ذلك الوقت ونشأ (علي محمد) مشتغلا مع خاله في التجارة وبارعا في اساليب المضاربات الأمر الذي دعاه ان يستقل اخيرا في اشغاله وان ينفرد بتجارته وان يحوز على مركز تجاري ويذيع بواسطته شهرة لنفسه بين ارباب المصالح .

والذي يظهر أن (علي محمد) لم يكن مع تفوقه في التجارة منصرفا إليها فحسب ولم تكن هي المهنة الوحيدة التي يشتغل بها انما كان كقسم من التجار في ذلك الوقت يدرس العلوم الدينية والرياضية

وبصرف في سبيلها شطرا كبيرا من اوقاته . وقد كانت دراسة الرياضيات في ذلك العصر دراسة فلسفية لا تقف عند فهم قواعد الارقام واصول الحساب ، انما تتطرق الى شيء آخر وتدخل في فن مخصوص عرف (بفن تسخير روحانيات الكواكب) وهذا ما كان يشغف به بعض ابناء التجار والمتمولين فيصرفون في سبيله الأموال ويبذلون لتحصيله الجهود ويتكبدون لعقد رياضاته المشاق والمتاعب وكان (علي محمد) ممن تذوق هذا العلم منذ نعومة اظفاره ودرس كثيرا من كتبه ومؤلفاته وحمل نفسه السهر والوقوف تحت الشمس المحرقة لإتمام رياضاته . فقد نقل عنه في مصادر مختلفة انه كان في ايام اقامته في (ابو شهر) يصعد الى السطح مكشوف الرأس ويمكث في الشمس من الظهر الى وقت العصر مستقبلا قرصها متحملا حرارة اشعتها حيث تشتد في هذا البلد ولا يخفى ما في تكرار هذه الاعمال الشاقة ومافي العزلة والانفراد والخلوات من الاثر على عقلية الانسان وطور تفكيره ونظره الى الحياة وقد حصل ذلك الأثر ا (علي محمد)) وظهرت فيه علائم هذا التفكير فكان خاله (المرزه علي) يرى في تفكيره شذوذا وينظر الى اعماله وأقواله بعين الريبة وكان ينصح اليه بالابتعاد عن هذه الحركات ويشفق عليه من ان يتطور به الحال الى نتيجة غير محمودة . ولما لم ير في (ابو شهر) الجو الصالح لشفائه مما الم به ووجد في نفس ابن اخته ميلا ورغبة الى زيارة العتبات المقدسة ، وافق على نصح الاطباء له بأن يرسله الى العراق حيث الهواء النقي وصفاء البال من الاشتغال بهذه الخياليات فكانت هذه الرحلة الثانية ا (علي محمد) مؤسس المذهب البابي اما الرحلة الاولى فكان انتقاله من (شيراز) الى (ابو شهر) .

= منشأ البابية —

قلنا ان الفكرة الباطنية نشأت في القرن الثاني للهجرة وانها لم تكن وليدة التعاليم الاسلامية إنما كانت عريقة في معتقدات الفرس ودخلت هي كسائر المعتقدات الأخرى بين تعاليم الإسلام وأخذت شكلا علميا تبحث عنه كتب الكلام والمعتقدات الاسلامية ووجدت لها اعوانا وانصارا حينما تعددت المذاهب والمعتقدات في القرنين الثالث والرابع للهجرة ولكنها اختفت بعد ذلك ثم كان لها مظهر سياسي في الدولة الفاطمية في مصر وبزوال هذه الدولة لم يبق لها في كتب الكلام واللاهوت اي وجود . وفي جميع ادوار اختفائها لم تعدم وجود اشخاص يفكرون بها ويبحثون عنها كلما وجدوا الى البحث فيها سبيلا .

وقد جاء القرن الثالث عشر للهجرة خاتمة نزاع بين فكرتين قـديمة وحديثة هما فكرة الاخبارية وفكرة الاصولية ولم يقتصر هذا النزاع على اصول الفقه والاحكام ، انما تسرب الى المعتقدات فكانت هناك آراء جديدة في ماهية المقلـد والمجتهد (اي الرئيس الذي يتولى منصب الإمام) فألفت في ذلك عدة مؤلفات ونقض كلٌ رأي خصمه . ودخلت هـذه المباحث اصول علم الكلام والفلسفة اليونانية فأصبح هـذا الموضوع واسعا واصبح التفكير فيه يتطلب تعمقا في النظر ووقوفا على قواعد المنطق القديم .

وكان للشيخ احمد الاحسائي المتوفى عام ١٢٤٣ هـ في بداية هـذا القرن مكانة سامية وذكرى شهيرة في اندية العلم ومحافل الادب والتدريس في كربلا والنجف وايران وكان هذا الرجل كمجدد للفكرة الباطنية ومخرج لها بصورة جديدة فكان لـه مجلس درس في كربلا وكانت له مؤلفات يتداولها قسم من طلاب العلم . ولكن فكرته لما فيها من الغموض والإبهام ولما يستعمله مؤسسها مـن العبارات المعقدة التي ترى بحسب ظاهرهـا غير ملائمـة لقواعد المذهب واصول الاسلام ، كانت ممقوتة وكان الاعتقاد بها يرى مروقا عـن الدين وخروجا على قواعد الإمامية ومع ذلك فقد كان له طلاب يلازمون درسه واعوان يترددون إلى مجلسه وآخرون يبثون له الدعوة هنا وهناك وقد سمي هؤلاء بالشيخية نسبة الى الشيخ احمد المومى اليه . وكان (السيد كاظم الرشتي) في مقدمة اولئك الطلاب والاعوان وقـد تلقى دروسه الاعتقادية على الشيخ نفسه ومع انه كان من اشد انصاره ، فإنه لم يرَ رأي شيخه في جميع المسائل . لهـذا أخذ ينفرد بعد موت استاذه بآراء وافكار تختلف اختلافا جوهريا عن آراء وافكار الشيخ الاحسائي ،

والذي يجمل بنا هنا ان نشير اليه ، هو ان الفكرة الباطنية نظرا لما يحيط بها من غموض وابهام ونظرا لما في طرق تأديتها وتعليمها من رموز واشارات قد يتعذر وجود شخصين متفقين فيها . وهذا ما جعل السيد كاظم الرشتي يخالف استاذه الاحسائي في كثير من مبادئه ويؤسس له طريقة جديدة عرفت بالطريقة الكشفية وهـذا بعينه ايضا هو الـذي حدا (علي محمد) الى ان يؤسس مذهبا آخر رغم اتصاله الشديد بصاحبه السيد الرشتي .

اوضحنا ان (علي محمد) جاء الى العراق بعد اشارة الاطباء عليه بالسفر وبعد ان كانت حاله في نظر عارفيه مريبة ولكنه صادف ما كان يخاف عليه منه الا وهي تعاليم السيد الرشتي

٧

فقد زادت هذه في الطنبور نغمات واضافت الى اضطرابه الفكري اضطرابات اخرى فكان يرى في مجالس البحث والمجادلات العلمية في كربلاء كمختل الشعور . وكانت تحوم الأنظار حول آرائه وبيناته المجهولة ومجادلاته غير المعقوله . وكانت هذه الحالة كنتيجة طبيعية لحياته في (ابو شهر) تلك المنطقة المعروفة بحرارتها ولدراسته لعلوم التسخير والنجوم ولتحمله المشاق الكثيرة في الرياضات والاختام والاوراد ولدراسته الاخيرة لتعاليم السيد الرشتي وبعد ان اقام في العراق نحوا من اربعة اعوام زار خلالها بغداد والبصرة وتعرف بقسم من رجال القطر اراد حج بيت الله الحرام فقصده عن طريق البحر وكانت السفن ترسو بطبيعة سيرها في المدن الساحلية الكبيرة و (ابو شهر) في مقدمة تلك الموانئ . فما ان رست السفينة في مينائه ، الا وعادت ذكريات الوطن الى قلب (علي محمد) فأجل سفره الى الحج وآثر المكوث في بلده ورؤية احبابه على الذهاب الى مكة المكرمة . ولكنه لم يطل البقاء في هذا الميناء مدة حتى حنّ الى مسقط رأسه (شيراز) فيممها قاصدا تلك المدينة التأريخية القديمة فنزلها ضيفا محترما على اصحابه واقربائه . وكان بحكم قواعد المذهب الباطني ملتزما لبث الدعوة لمذهب استاذه السيد كاظم الرشتي فاوجد له شرذمة أخذت على عاتقها تأييد مساعيه ونشر آراء استاذه وحصل في ذلك الوقت من الظروف المناسبة ، ما اطمع (علي محمد) في ان يظهر كرئيس مذهب وكزعيم مجدد . فقد جاءت الأنباء تنعى استاذه الرشتي الذي توفي عام ١٢٥٩ هـ ١٨٤٣ م وأرخت وفاته بجملة (غاب بدر الهدى) فكان ظرفا مناسبا وجوا صالحا بدأت فيه الفكرة البابية تظهر بشكلها الجديد .

— ظهور البابية —

لم تبرح الفكرة التي نشرها الشيخ احمد الاحسائي واتباعه من بعده اذهان الناس وقد اخذت اشكالا مختلفة عندما تناقلها السذج من العامة وسواد المتدينين فكانت الحديث الوحيد الذي تتذاكر به الخاصة . ومعلوم ان الفكر والمبادئ متى اصبحت في اذهان البسطاء أمكن استغلالها ولا سيما من طريق الدين . ولا ننسى ان للسياسة الأجنبية في بلاد ايران اليد القوية في تنمية هذه الافكار وفي صرف الناس عن النظر الى حالتهم السياسية ونعلم ان ذلك الوقت كان الوقت المعد للشروع بتجزئة البلاد الشرقية وفي ضمنها ايران وان الايدي كانت تلعب تحت الخفاء . ولاسيما من ناحية الدين دورا مهما . وكان ظهور الفكرة البابية من العوامل

المساعدة على ذلك .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد كان للسيد كاظم الرشتي اعوان وانصار كانت في مقدمتهم امرأة استطاعت بما لديها من ادب جم وذكاء مفرط وجمال باهر واساليب خطابية خلابة أن تجلب كثيرا من سواد الناس الى اعتناق المذهب الكشفي او الى التفكير بهذه الفكرة الجديدة . تلك هي الفتاة المدعوة ام سلمى بنت الحاج ملا صالح البرغاني والملقبة بـ (قرة العين)

والذي يظهر من دراسة هذه الدعوة في ايران انها كانت منظمة ولا سيما بعد ان اعلن (علي محمد) انه الواسطة بين الإمام والرعية وانه الطريق الوحيد للوصول الى الحقائق الإلاهية ودعا نفسه بـ (النقطة) او (الباب) وسيجيء عند شرحنا لاصول المذهب البابي المقصود من هذه الاسماء . وان هذا النظام الذي قامت عليه الدعوة لا يكاد يختلف عن النظم التي تمشت عليها الدعوة الباطنية في مختلف ادوار ظهورها . فقد كان (الباب) هو الرئيس الأعلى وقد كان الدعاة الذين بلغ عددهم في بادئ الأمر تسعة عشر نقيبا هم (الحروف الحية) المقدسة التي هي مصدر الحياة . و (الحروف الحية) رمز تعرف به البابية حتى الآن والقصد منه ان يكون عدد الدعاة او المظاهر يعلو عدد كلمة (الواحد) التي يبلغ عدد حروفها الابجدي العدد (١٩)

— انتشار البابية —

ظهر مذهب البابية عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) وراح انصاره يبثون له الدعوة في سائر الانحاء بتأثير السياسة الاجنبية ولما لم تكن هذه الحركة تتناسب والمركز الديني لعلماء إيران يومئذ ، ولما كانت اكثر التعاليم التي جاء بها (الباب) مخالفة لأصول الدين الإسلامي ، فقد قامت قيامة العلماء في وجه هذه الدعوة فنشرت الرسائل والفت الكتب والقيت الخطب وفي جميعها من التفنيد لهذه المبادئ ما فيها . واستحث الروحانيون رجال الدولة على وجوب استئصال شأفة هذه البذور التي بدأت تهدد الأمن العام في فارس وتضعضع الايمان والعقائد في نفوس البسطاء من الناس وحصل من هذه المقاومة ان مال بعض السذج إلى هذه التعاليم فزاد (الباب) نشاطا واعلن نفسه — بعد ان كان واسطة للوصول إلى الإمام — انه هو المهدي المنتظر وانه هو الذي سيملأ الارض قسطا وعدلا بعد ان ملئت ظلما وجورا اذ ليس في العقيدة البابية وفي تعاليمها ما يمنع من هذا الادعاء

فالإمام مظهر من مظاهر الله في الارض وواسطة تبليغ الناس لانكشاف الحقائق له . فإذا حصل من هو في رتبته في الكشف فلامانع هناك من ان ينال عين الرتبة . وهذا مادعاه إلى أن يظهر بمظهر أرقى من الدعوة السابقة فيدعي انه أفضل من محمد(ص) صاحب الدعوة الإسلامية وان تعاليمه التي جمعها في قرآنه هي أفضل من قرآن محمد(ص) وان محمداً (ص) إذا كان قد تحدى الناس بإتيان سورة من سور قرآنه (ص) فإن الباب يتحدى الجميع بإتيان حرف من حروف القرآن الذي جاء به (أي بيانه) وهكذا استمر (الباب) في نشر الدعوه لنفسه واستمر اتباعه في مختلف البلدان والقرى الإيرانية يحذون حذوه ويؤيدون تعاليمه وزاد الطين بلّة موقف العلماء الاعلام الصلب ضدّه ومساعدة السياسة الأجنبية لهذا الاختلاف والانشقاق والحقيقة التي يجب أن يجهر بها كل منصف هي أن (المرزه علي) خال الباب لم يكن ليستحسن سلوك ابن اخته وكان كلما نصح اليه بلزوم الإبتعاد عن هذه السفاسف والخزعبلات لم يجد منه غير العتو والتعنت لأن آراءه لم تبقَ نظرية فقد دخلت في دور الاعتقاد والإيمان من نفسه ولا سيما بعد ان ثمل بخمرة الانتصار ووجد بين يديه شرذمة تؤيده فيحسب لها حسابها

— موقف علماء إيران —

كان لرجال الدين في ايران قبل الانقلاب الأخير منزلة رفيعة ومكانة سامية في تمشية أمور الدولة . فقد كان الشاه وهو الحاكم المطلق في إيران يستند اليهم ويراقبهم ويستمد منهم المعونة والتأييد في بعض الاوقات بصفة كونهم قادة للرأي العام وقدوة الدهماء من الناس . وقد أعدوا لإخماد الفتنة التي أثارها الباب طرقا عديدة حاولوا فيها اقناع مثيرها وردّه عن غيّه . ولكنها لم تنجح فقد تبودلت الرسائل والكتب بينهم وبينه وعقدت عدة مجالس للمناظرات وكان آخر مجلس لهذه الغاية قد عقد في (شيراز) وكان يوم عقده يوما مشهوداً حضره جم غفير من الناس وقسم كبير من مشاهير العلماء في إيران واستدعي الباب ايضا فحضر ودار البحث فكان من جانب العلماء سديداً جاريا على قواعد المنطق والعقل في حين انه كان من جانب الباب خشنا غير مستند إلى اصول معتبرة أو قواعد مسلم بصحتها . ورأى العلماء في نهاية البحث ان المنطق لا يجدي نفعا مع الرجل لأنه مندفع بعقيدته إلى حيث لا يستقر له قرار . فقرر مجلسهم وجوب قتله وأصدر حكمه القطعي بذلك إلى حاكم المدينة

لتنفيذه . وحكومة إيران في ذلك الوقت تعتبر أوامر العلماء قانونا

— موقف حكومة إيران —

أما الحكومة نفسها فلم يرقها ما رأته من القلاقل التي ظهرت على أثر الدعوة البابية وقد تماهلت في بادئ الأمر أملا في أن تهدأ الفتن والقلاقل بواسطة الإقناع والإرشاد من جانب العلماء. إلا انها اضطرت في آخر الإمر إلى ان تبث العيون لتراقب حركاتهم (حركات البابية) ولما عظم الأمر واتسع الخرق واصبحت اوامر العلماء تهبط على مراكز الحكومة في كل يوم بوجوب وضع حد لتلك الفوضى واشتركت كربلا والنجف وهما مركزا العلم في استنكار وجود هذه الدعوة وسكوت الحكومة الإيرانية عن اخمادها ، قبضت على جميع البابيين وزجتهم في غياهب السجون في شيراز لكثرة ما وجدت فيها من الاضطرابات ثم امرت بخزم انوفهم والتطواف بهم في شوارع المدينة وازقتها قاصدة بذلك ان تردعهم عن غيهم وترجعهم عن فكرتهم وكان الباب قد سافر إلى (ابو شهر) فأرسل حاكم شيراز المرزه حسين خان نظام الدولة التبريزي المراغي ثلة من الجند عادت به الى شيراز

وكان هذا الحاكم حازما يقدر لهذه الفتنة ظروفها ويعلم عواقبها فلم يشأ ان يسترسل مع التيار فيصدر اوامره بقتل الباب فيكون قتله مدعاة لفتنة اخرى تأتي على اثر وفاته . لهذا دعا العلماء الى تشكيل مجلس عام واعلن للجمهور حق الحضور فيه وأبان ان الغاية من هذا الاجتماع ان يتذاكر العلماء مع الباب علنا وان يكون قتل الباب مستندا الى حجة قوية تبرر هذا الاقدام الخطير وتوقف الجمهور على حقيقة الحال . وخشية من أن يضطرب الباب في هذا الاجتماع او أن تظهر عليه علائم الارتباك ، فاتحه سرا بأنه من انصاره واعوانه ومن المؤمنين بعقائده وتعاليمه وانه اذا غفر له ذنبه عما عمله مع اصحابه وعما اساء به اليه من جلبه من ابو شهر الى شيراز ، فانه سيعمل السيف في رقاب المخالفين الذين لا يؤمنون بوحيه والهامه .

وانطلت على الباب هذه الخديعة فكان رابط الجأش ثابت الجنان قوي القلب وبهذه الحالة دخل مجلس المناظرة الذي تمثل فيه الجلال والعظمة وغص بوجوه العلماء وفطاحل رجال الدين وأحاط به السواد من كل جانب وكانت ثلة من الجند تحرسه فابتدر الباب العلماء قائلا « اما آن لكم ايها العلماء ان تنبذوا الهوى وتتبعوا الهدى وتتركوا الضلال وتذعنوا

لأوامري فإن نبيكم لم يخلف بعده غير القرآن فهاكم كتابي — البيان — فاقرأوا تجدوه أفصح من القرآن واحكامه ناسخة لأحكام الفرقان فآمنوا بي قبل أن تسل السيوف وتوضع في رقابكم ﴿ وكتاب — البيان — هو المجموعة الإلهامية التي ألفها الباب في شيراز واحكامه هي التي ادعى انها ناسخة لأحكام الفرقان . وهذه المجموعة على ما هي عليه من ركة العبارة وغلط التعبير ولحن القول يرى الباب انها افصح من القرآن . (استغفر الله) .

دخل الباب ذلك المحفل الحاشد وابتدر الحاضرين بهذا الكلام فكان منطقه كقنبلة انفجرت في محفل آمن . ولكن الحاكم انتهز هذه الفرصة وطلب الى الباب أن يسجل ما تفوه به وان تكون كل المباحثات التي تدور في هذا المجالس خطية لينشرها على الناس ليتميز الحق من الباطل ويبرر كل عمل ينوي القيام به . فخط الباب كلامه بقلم يمينه وخط العلماء دحضهم لاقواله . ولما سأله العلماء عن كثرة اللحن والاغلاط في منطقه ، اجابهم انه لم يدخل المدارس ولم يقرأ الكتب وما جاء به انما هو وحي يوحى اليه وختم كلامه قائلا (فخذوا اللباب واتركوا القشور) وانتهى الجدال بينهم وبينه باصراره على وجهة نظره فوبخه السادة العلماء على مروقه من الدين واستتابوه فلم يتب فأفتى بعضهم بقتله ككافر زنديق وافتى البعض الآخر بجلده فقط وقد نفذت فيه الفتيا الثانية وبذلك انتهى المجلس على ان يعتقل الباب في بيته بضمان خاله (المرزه علي) على ان لا يتصل بأحد .

— تسفير الباب —

لم تنته دعوة الباب بالتبشير والدعاية إلى مذهبه فحسب إنما كان له انصار يخشى بأسهم ويتقى شرهم . وقد حدثت تعديات كثيرة اخلت بالامن العام وضاعفت الاضطراب وجرت اثناء ذلك مفاوضات بين حاكم شيراز والعلماء في مصير أمر الباب فأحس الباب بها وفرّ هارباً إلى (اصفهان) وحدث من الظروف ما جعل الحكومة تشغل عن تعقيبه لانتشار الوباء في المدينة وانصراف الحكومة إلى توسيع الشؤون الصحية لدرء الخطر الذي بدأ يهدد الأهلين . وهناك مناسبة اخرى ساعدت الباب على توطيد مركزه في اصفهان ذلك ان الوالي (منوجهر خان) منحه شيئا من لطفه والتفاته لانتسابه إلى البيت النبوي من جهة ولأنه كان يجهل درجة الخطر الناجم من المبادئ والتعليمات التي كان يبشر بها الباب . ولم يكن ليعلم بما جرى في شيراز وابو شهر من الفتن والاضطرابات والقلاقل لبعده عنهما

ولعدم وجود وسائط المخابرة التي تربط البلدان بعضها ببعض فتجعل أهل كل مدينة يطلعون على شؤون المدينة الأخرى بالسرعة . يضاف إلى ذلك ان الإدارة في إيران كانت منحلة وكان كل حاكم يكاد يكون مستقلا بادارة بلده فنال الباب بذلك الالتفات حريـة واسعة جعلته يستطيع نشر مبادئه في اصفهان نفسها وبدون مراقبة . فحصل من جراء ذلك استياء عام وهاجت المدينة وماجت بأهلها حتى ذهب الناس في أمر الوالي مذاهب شتى وطلب العلماء من الوالي أن يتدارك ما قد يقع من فتن واضطرابات يصعب تلافيها وتلافي خطرها . فأعلن الوالي عندئذ عزمه على تسفير الباب إلى مقر السلطنة ليلاقي جزاءه وقد ارسله فعلا بصحبة ثلة من الجند إلى خارج المدينة ويقال انه اوصى الجند أن يبقوا الباب في (مورجه) خارج ضاحية من ضواحي البلد وأن يعيدوه الى منزله ليلا . وقد نفذ أمر الحاكم كما اراد فاعيد الباب الى البلد ولبث في بيت الوالي مختفيا اربعة أشهر اغتيل خلالها الوالي فـأطلع ابن اخته (كوكين خان) العلماء عـلى امر الباب فهاج العلماء وماجوا وأمطروا بلاط إيران بوابل مـن رسائل الاحتجاج فاضطرت الحكومة المركزية ازاء هذا الهياج أن ترسل ثلة مـن الجند لخفر الباب ونقله إلى تبريز .

ويرى بعض المصادر ان الوالي (منوجهر خان) لم يأمر بابقاء الباب عنده واخفائه في منزله ، الا لأنه كان ينتظر جواب طهران وانه بعد ورود الأمر بتسفيره الى تبريز، ارسله مخفورا بثلة من جنده . وعـلى كل فقد نقل الباب الى تبريز واعتقل في قلعة منيعة بجوار المدينة يقال لها (ماه كو) فلبث فيها سجينا تسعة اشهر ثم نقل الى قلعة (جهريق) للتضييق عليه . ولم يكن في ايام سجنه منسيا من قبل رجال الدين فقد كان انصاره في الخارج وكانت دعايته لا تزال باقية ولم يكن للجمهور حديث آنئذ غير حديثه . ولم يكتف العلماء بما انزلته الحكومة به من التضييق والحبس وكان الكل مجمعا على لزوم استئصال شأفة دعوته واعادة الأمـن إلى نصابه وتطمين النفوس التي اضطربت من معتقداته وكانت دعوة العلماء تلاقي رواجا من قبل الرأي العام .

وكان حاكم أذربيجان في ذلك الوقت ولي عهد المملكة الإيرانية ناصر الدين شاه الذي اعتلى سرير الملك بعد وفاة والده محمد شاه عام ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) من اشد الناس رغبة في قمع هذه الفتن وقطع دابر هذه القلاقل والاضطرابات بالقضاء على الباب وصحبه إلا أن

هناك ظروفا كانت تحول دون تنفيذ رغباته . وكان الباب يتنقل يومئذ بين قلعة (جهريق) وتبريز ويضيق عليه تارة ويخفف عنه اخرى . وفي وسط هذه الاضطرابات التي كانت تموج بها إيران ، توفي الشاه محمد فاعتلا سرير الملك ولده ناصر الدين شاه فصادف الفتن تثور من هنا وهناك والمعارك تدور داخل المدن والقرى والحالة تغلي كالمرجل فمن بين قتل ونهب وحرق وذبح اطفال وانتهاك حرمات وتمثيل بالشيوخ والعجزة والشعب منقسم على نفسه والدسائس الأجنبية تكيد له وتعمل على اضعافه فكانت التبريكات التي تردعلى البلاط الإيراني وتهني الشاه الجديد باعتلائه سرير الملك مشفعة بالتذمر ومصحوبة بالاستياء من الدعوة البابية فصمم الشاه الجديد على استعمال العلاج الاخير وقطع دابر هذه الفتن .

— اعدام الباب —

وكان من حزم ناصر الدين شاه وبعد نظره أنه لم يأمر بقتل الباب بدون اقامة حجة عليه وان كان في الاضطرابات التي وقعت بسببه اكبر الحجج واسطع البراهين . فقد أصدر إلى واليه في تبريز ان ينفذ أمر الاعدام في الباب بعد ان يجمعه بكبار العلماء ورجال الدين ليناظروه ويحاجوه في آرائه عسى ان يجدوا منه عدولا عن عقائده ورجوعا إلى سبيل الرشاد فاعلن حاكم تبريز ورود امر الشاه وابلغ العلماء ذلك وطلب منهم ان يناظروه للمرة الأخيرة فاستنكفوا عن ذلك ما دام الرجل لم يحد عن معتقداته رغم الاجتماعات الكثيرة ورغم المحاجات العديدة المتنوعة قيد أنملة وبعد اخذ ورد بين الحاكم والعلماء قرر ادخال الباب على رئيس المشيخة في تبريز الملا محمد الممقاني ليبت في أمره . وجرت هناك بينه وبين الرئيس مذاكرات لم تجد في اقناعه شيئا ولم يجد الرئيس لإقناع الباب وتغيير وجهة نظره سبيلا ووجده مضطربا في كل ما يقول ويفكر فاصدر فتياه بحضور جماعة من كبار العلماء والمجتهدين باعدامه . فسيق هو مع شخصين من المغالين في نصرته هما الملا محمد علي المازندراني والسيد حسين التبريزي إلى ساحة الإعدام (سربازخانه كوجك) في الثكنة العسكرية وأعلن للجمهور اليوم المعد لتنفيذ حكم الاعدام فغصت الساحة بمن حضر من اهل المدينة على اختلاف طبقاتهم وكان الكل مشفقا عليهم واعظا لهم راجيا منهم العدول عن فكرتهم وأن لا يكونوا سببا لسفك دمائهم في بلد اشتهر سكانها بإكرام السادة والاشراف اكثر من غيرها فابوا الا السيد حسين التبريزي فإنه لما رأى المنظر ، أخذه الخوف والرعب الشديد وما لبث أن أظهر

التبري من الباب وأخذ يطره سباً ولعناً ثم بصق في وجه الباب وأعلن أنه تاب واستغفر فأطلق سراحه وكان من المتفرجين على الإعدام .

— منظر الإعدام —

أما الباب وصاحبه الملا محمد علي المازندراني فلم ينثنيا عن غيهما ولم يزد فيهما النصح إلا عتوا وتمرداً لأن الإيمان والعقيدة قد أخذت من نفسيهما مأخذا يستحيل معه رجوعهما فتقدم الجند اليهما ونزع عن رأسيهما عمتيهما وشدا بحبل من القنب وعلقا على ارتفاع من الارض فكان مشهدا مريعا ومنظرا رهيبا . اما ملامح الباب فكانت تدل على ما يساور نفسه من الندم على ما فرط منه وحب الإذعان للحق إلا أن العزة كانت تمنعه من التصريح بما يتراءى له وبين هذين الخاطرين المتناقضين رفع رئيس الجند صوته بإطلاق الرصاص فدوت البنادق في الفضاء متجهة إلى حيث تستهدف روحين دعتهما العقيدة إلى التضحية في سبيلها . فاكتنف الجثتين دخان البنادق وساد السكون على الناس ووجفت القلوب وارتعدت الفرائص وتقطعت حبال المشانق ترمي عنها جسمين يتخبط احدهما بالدماء ويقول ويلهج (هلا رضيت عني يا مولاي ؟) . كانت تلك كلمة الملا محمد علي المازندراني احد المؤمنين بالباب والذين لم يسلموه حتى الساعة الاخيرة من الحياة وحتى إلى درجة التضحية دونه

وجاء الجند ليحتمل الجثتين فإذا هناك شيء غريب وحادث عجاب ذلك انهم لم يجدوا جثمان الباب فتسرب الظن إلى بعض ضعاف الإيمان وخامرهم الشك وكادوا ان يؤمنوا بأن المهدي الذي بشر بالعقيدة البابية قد غاب . وحصل شيء من الاضطراب في نفوس المتجمهرين الا انه سرعان ما زال بوقوف احد الجنود على ختل الباب وزاويته التي اختارها ليتقي بها الموت فقد صادف حسن حظ ان تقع رصاصة الجند في الحبل التي علق به الباب وان ينقطع الحبل فيذهب الباب يتطلب مكمنا لنفسه وملجأ يختفي به . فجيء به للمرة الثانية لتفعل فيه الكتيبة فعلها في صاحبه . وتروي (ساذج) حفيدة البهاء ان هذه الكتيبة امتنعت عن اطلاق الرصاص على الباب بعد ان نجا منه في المرة الأولى فاستبدلتها الحكومة بكتيبة ثانية وعلى كل فقد اعدم الباب في ٢٧ شعبان ١٢٦٥ ه اما البابية فيدعون ان هذا الاعدام تم في ٢٨ شعبان ١٢٦٦ ه (٨ تموز ١٨٥٠ م) والفرق بين الروايتين سنة ويوم واحد وكان عمره يوم اعدم ثلاثين سنة وثمانية اشهر ثم امرت الحكومة بسحب الجثتين وجرهما في الشوارع والازقة

ولما جن الليل ، القيتا في خندق من خنادق المدينة وبقيتا فيه اياما طعمة للكواسر ويزعم البعض من مؤرخي البابية بأن سلمان خان بن يحيى خان وهو رجل من اكابر اذربايجان تمكن بمساعدة حاكم تبريز من حفظ الجثتين عنده ردحا من الزمن حتى اذا جاء اليه امر خليفة الباب ، (البهاء) نقلها الى طهران حيث كانت مدفنا لهما . اما دائرة المعارف البريطانية فتدعي ان البابيين نقلوا جثة الباب بعدئذ الى بعلبك من اعمال سورية وهو قول يفتقر الى ادلة وبراهين كثيرة .

— بعد الاعدام —

لم تخمد الفتن بمقتل الباب ولم تنته حركة الاضطرابات بإعدام مؤسس المذهب الجديد ورأت حكومة ايران ان من الحزم استئصال جرثومة هذا الداء وقطع دابر المفسدين . فاعملت السيف في البابيين حيثما وجدتهم وكتبت الى الحكام في مختلف الانحاء تأمرهم بإعدام كل من يتجاهر بهذه الفكرة وبمراقبة من يشتبهون به فلم يسمع لهم بعد ذلك الأمر الصارم صوت وباتت فارس هادئة ساكنة وعادت الامور الى مجاريها الطبيعية ومرت سنتان كاملتان لم يجر خلالهما حادث يذكر الا انه كان تحت ذلك الرماد جمر يتقد ومن وراء ذلك السكون حركة يراد بها الثأر للباب وصحبه . وكان دعاة هذه الحركة من اصحاب الباب الذين فروا من وجه الحكومة واخفوا انفسهم عن السلطة ففي ٢٨ شوال ١٢٦٨ ﻫ (١٥ اغستوس ١٨٥٣م) ظهر ثلاثة اشخاص حاولوا اغتيال السلطان ناصر الدين شاه بينما كان عائدا من الصيد الى قصره والانتقام من الشخص الذي قضى على الدعوة البابية . ولكنهم فشلوا في هذه المحاولة ووقعوا في يد الحكومة فولد عملهم عكس ما راموا وشددت الحكومة المراقبة على كل من يتهم به او يظن بانتسابه الى البابية فقبضت على من اشتبهت بهم ونكلت بمن ثبتت ادانتهم وهكذا استمرت الاضطهادات فكونت حسا جديدا شعر به الناس بانصار الباب . وفي ٣٠ آب ١٨٥٢ ظهرت على مسرح التاريخ تلك الداعية البليغة (قرة العين) التي ذكرنا ما لها من اليد في نشر الدعوة فقامت مع جماعة يبلغ عددهم الثلاثين نسمة يحاولون قلب الحكومة والثأر للقتلى البابيين ولا يغيب عن البال ان هذه المحاولة ليست محاولة دينية بحتة فإن قلب الحكومة لا يعني بنفسه الا حركة سياسية مدبرة . ومعلوم ان فكرة الدستور كانت مختمرة في نفوس الايرانيين في هاتيك الأيام وان تلك الاضطرابات كانت سياسية دينية في عين الوقت وكان

الشاه ينكل باعدائه انصار الدستور باسم التنكيل بالبابيين فكان هذا التأديب صارما وواسعا في عين الوقت وكان بنفسه دعاية للمذهب البابي فلعبت (قرة العين) وانصارها دورامهما تمكنت الحكومة في نهايته من القاء القبض عليهم واعدامهم رميا بالرصاص اماهي فقد وضعت في فوهة مدفع اطلقت قنبلته فمزقتها اربا اربا فخمدت بذلك نار الفتنة ولم يتجاسر بعد هذا الحادث أحد على التظاهر بالمذهب البابي . الا ان التنكيل الذي اوقعته الحكومة ببعض خصومها من رجال الدولة ووجهاء البلد باسم اعتناق المذهب البابي كان له الامر السيء في النفوس قاطبة

— عقائد البابية —

يبتني اساس المذهب البابي على الاعتقاد بوجود إله واحد ازلي نظير ما يعتقدبه المسلمون الا ان البابيين يستمدون صفات الخالق من اساس العقيدة الباطنية التي ترى ان لكل شيء ظاهرا وباطنا وان هذا الوجود مظهر من مظاهر الله وان الله هو النقطة الحقيقية وكل ما في الوجود مظهر له . والوجود في نظر المسلمين صادر عن الله وفعل مخلوق له . أما عند البابية والباطنية فانه صفة تدل على الحياة والتأثير ومن هذه الناحية الاعتقادية يبنون كل مظاهر العمل والعبادة على انها امور ظاهرية تعبر عن امر باطني

اماعقيدتهم في النبي والإمام فمستمدة من عين العقيدة بالخالق . فالنبي او الإمام في حياته مظهر من مظاهر الله في الارض وارتقائه الى هذه المنزلة انما هو باستكماله صفات اخلاقية جعلته يعبر عن الامر الواقعي ويصل الى الحقيقة دون غيره فمن استكمل الصفات التي استكملها النبي او الإمام فهو احق واهل للتظاهر بمظهر الدعوة والتبشير لهذا صح للباب ان يكون مظهرا من مظاهر الله في الارض بعد النبي

هذه هي العقيدة الاصلية للمذهب البابي الا انها دخلت في تطورات جعلتها من بعض جهاتها غير مفهومة وادخلها من جهة اخرى في التعاليم الاجتماعية العامة شأن كل عقيدة تدخل بين الحوادث والتاريخ وقد اضافت اليها (البهائية) التي سيجيء البحث عنها بعض التغييرات والتحويرات الا ان اساسها الاعتقادي واحد .

اما عقيدتهم العملية فلم تكن لتظهر في حياة الباب نفسه نظرا الى ان حياته كانت مملوءة بالاضطرابات والتنقل والى انها مقتصرة على بث المبادئ والاعتقادات اما ما ينقل من

صنوف العبادات في هذا المذهب فكله منقول من الكتاب الذي خلفه الباب وترجمه غير واحد من المستشرقين الى اللغة الافرنسية · ونحن — على ما هو عليه هذا المصدر من الاحتمال والشك — نرى ان التعاليم التي جاءت فيه فيما يخص العبادات لم تكن واضحة وجلية الى حد اليقين فقد كانت الرموز والإشارات التي يستعملها علماء الكلام وفلاسفة الحكمة اليونانية تدخل بين جمل الكتاب فترى بظاهرها شيئا بينما هي تقصد شيئا آخر ولا ادل على ذلك من قول رئيس الشيخية (وهو ليس بهذا القرب الى المذهب الباطني) في تفسير حديث نبوي ورد في تطهير البئر حيث يقول (اذا وقعت الفارة في البئر فانزح لها ثلاثة دلاء) هذا هو نص الحديث اما تفسيره فيقول فيه (اذا وقعت فارة النفس في بئر الطبيعة فاستغفر لها ثلاثة استغفارات) فنحن نرى في هذا الكتاب الذي ترجمه الى الافرنسية المسيو كوبينو ان الصيام في السنة شهر والشهر تسعة عشر يوما والسنة تسعة عشر شهرا ونرى غير ذلك من احكام العبادة البحتة ولكن لا ندري أهي مرادة على حقيقة ظاهرها ام ان هناك تفسيرا وتأويلا ومقصدا خاصا لا يفهمه الا البابيون انفسهم ؟ ؟

واما عقيدتهم الاجتماعية فمؤسسة على تكوين جمعية مؤلفة من تسعة عشر شخصا تقوم بإدارة شؤون الفرقة ويلزم كل متدين بأن يؤدي الزكاة لها سنويا خمس امواله وهي فكرة مستنبطة مما كانت ترمي اليه الفكرة الباطنية في تأسيس جمعياتها السرية التي وجدت في مختلف العصور وكانت خطرا يهدد الدولة العباسية وما اعقبها من الدول الاسلامية « وجميع اصناف العقوبات ممنوعة الا الغرامة والحيلولة بين الرجل والمرأة فترة من الزمن · والتجارة حرة والعقود في التجارة مرعية · ودفع فائدة على البضائع التي تباع الى اجل معين مباح · ثم ان الزواج من بعد سن الحادية عشرة امر مفروض · والطلاق مكروه وتعطى للزوجين مهلة سنة حتى يتصالحا · والزوجان اللذان تفارقا يمكنهما ان يستأنفا زوجيتهما بعد شهر من الطلاق وذلك الى حد ١٩ مرة · والأرامل من الرجال والنساء عليهم ان يتزوجوا بعد الترمل بمدة مضروبة للرجال ٩٠ يوما وللنساء ٩٥ يوما والا فالغرامة · ولا يجوز ضرب الصبي في الكتّاب قبل سن الخامسة · واما من بعد هذا السن فيجوز ضربه على شرط ان لا يتجاوز ذلك خمس ضربات وان يوضع غطاء على محل الضرب · (والادب من الوصايا الملتزمة عند البابية · ويسوغ لبس الحلي والجواهر ولو تجاوز ذلك ما حدده الشرع · ويجب كل سنة صيام شهر

واحد — ١٩ يوما — من شروق الشمس الى غروبها . والتكاليف يقع من سن ١١ الى سن ٤٢ والوضوء مستحب وليس بفرض ولا بد من وجود حمام للاغتسال في كل حارة ويجوز روءية جميع النساء بدون نقاب والكلام معهن بدون حرج الا انه لا بد من الحشمة والاقتصاد في الكلام معهن و يستحب ان لا يزيد كلام الرجل مع المرأة الغريبة على ٤٨ كلمة (ويجب ان يزار البيت الذي ولد فيه الباب ويبنى هناك مسجد و كذلك البيت الذي اعتقل فيه وبيوت الكبار من اصحابه . ولا يستحب السفر الا في تجارة . ولا ركوب البحر الا في حج او اتّجار . ولا تلزم صلاة الجماعة الا على الجنائز . ولكن الوعظ في الجوامع مندوب . ولا يوجد رجس بعد الإيمان بل كل من اتبع هذا المذهب فقد تطهر بمجرد اتباعه إياه . وكل ما تحوزه يده صار طاهرا واما الماء فهو طاهر ومطهر . ثم يجب على البابي ان يقرأ في كل يوم ١٩ آية من بيان الباب ويذكر اسم الله (٣٦١) مرة ويدفن الاموات في قبور من البلور او من حجارة منحوتة ومصقولة ويوضع في يد الميت اليمنى خاتم منقوش عليه — لكي لا يستوحش الموتى في قبورهم — ولا يجوز لأحد ان يعتدي على احد ولا ان يكسر خاطر احد واذا خاطبك احد او كاتبك فلا بد لك من ان تجاوبه واذا استودعك احد كتابا لترسله اوتوصله فعليك تأدية هذه الأمانة وان الاشربة المتخمرة والمسكرات غير جائزة وكلما مضت ١٩ يوما فلا بد للموءمن من دعوة ١٩ رجلا الى طعام او شراب ولو لم يكن سوى الماء القراح

(ولا يجوز الاستعطاء ولا اعطاء السائل بل التصدق على السائل إثم . اما تقسيم تركة الميت فيوءخذ منها من رأس التركة نفقات الجنازة ثم يأخذ الاولاد تسعة انصبة والمرأة ثمانية والأب ٧ والأم ٦ والاخ ٥ والاخت ٤ والمعلم ٣ ولا يرث وارث غير هوءلاء) اه

— الفكرة البهائية —

كان من بين اتباع الباب اخوان لأب يدعى احدهما (مرزه حسين علي) ويدعى الثاني (مرزه يحيى نور) وقد تخلصا من السلطة الإيرانية التي كانت تطارد البابيين وتفتك بهم تحت كل حجر ومدر . ولم يغب عن الباب يوم كان سجينا في قلعة (جهريق) ان يوصي بأمر الدعوة الى من يقوم بها من بعده فقد كتب وصيته التي ختمها بختمه ووقع عليها بتوقيعه واوصى بتولية الأمور من بعده الى (مرزه يحيي نور) على ان يخلفه (مرزه حسين علي) ويقوم بوكالته طيلة زعامته . وقد كان كلا هذين الاخوين من المبرزين في فهم العقيدة

البابية وممن لهما مكانة في نفس الباب فكانا كمرشحين لزعامـة المذهب في حياة الباب . ولما أعدم الباب على نحو ما سلف ذكره ووقف اتباعـه على وصيته ، اجتمعوا الى المرزه يحيي نور وطلبوا اليه ان يقوم بتنفيذ الوصية وان يتولى الزعامة ولكن الرجل كان يحس من نفسه الضعف وعدم الاستطاعة للقيام بهذه المسؤولية الدينية وان اخاه المرزه (حسين علي) ممـن اجتمعت فيه الصفات التي تؤهله للقيام مقام الباب واهمها انه كان رجلا روحانيا درس المذهب وتفهم معانيه فقام بالأمر وتقبل المسؤولية واصبح زعيم المذهب .

والذي يهمنا من تأريخ هذا الخليفة بيان التطور الذي ادخله على هذا المذهب والعوامل التي ساعدته على القيام بالأمر : فقد كان المذهب البهائي حتى وفاة الباب عقيدة صرفة وحركة تحاول الظهور بمجردها وعاملا من عوامل السياسة في بلاد إيران . غير ان الاضطرابات التي حدثت بسببه والمقاومات التي قام بها رجال الدين والضغط التي استعملته الحكومة ضده . كل ذلك مما افهم الرجال الذين استلموا هذه الفكرة انه من الضروري ادخال بعض التعاليم الجديدة عليها واظهارها بشكل مناسب . اضف الى ذلك ان اساس العقيدة التي انتمت اليهـا الفكرة البابية هو المذهب الباطني الذي ألمعنا الى انه لا يكاد يستقر أو يستمر على صورة واحدة .

ظهر المرزه حسين علي واخوه المرزه يحيى نور كرئيسين للزعامة المذهبية والتف حولهما من بقي من متشردي البابية . وكانوا في كل حركاتهم موضع مراقبة ومحل خطر يتخوفه الناس والحكومة معا . فقد كان الشاه مهدداً غير مرة من قبلهم وكان شعارهم بعد مقتل الباب (الانتقام الانتقام) مهما كلفهم الأمر غير ملتفتين الى ما يبذلونه في سبيل ذلك من الأنفس والأموال .

وغريب ان يمر الباحثون عن (الجمعيات السرية والحركات الهدامة) دون ان يعيروا هـذه الجمعية اقل اهتمام ، وان يأخذوا حوادثها بنظر الاعتبار . والمطلع على تاريخ ايران قبيل اعلان الدستور وبعده ، يعلم ما لعبته هذه الجمعية من ادوار خطيرة في الانقلاب الإيراني وما نجم عنها من تغيير في سياسة ايران ولو كان لنا مجال للبحث عن الناحية السياسية في هذه الحركة لأظهرنا كثيراً من العلاقات والتطورات التي حدثت بسببها ولكننا نقتصر عـلى التأريخ الديني وعلى عوامل نشوئه فحسب .

وما ان احست الحكومة الإيرانية بظهور هذين الزعيمين وبالتفاف جماعة من البابيين حولهما إلا واخذت في مراقبتهم ثم ألقت القبض على المرزه حسين علي واراد الشاه تنفيذ الأمر فيه

الا ان الصدر الأعظم المرزه تقي خان كان من اهالي مازندران ومازندران بلد خليفة الباب (المرزه حسين علي) فدفعته هذه الرابطة الى ان يتشفع الى الشاه فيه وان يطلق سراحه على ان يُنفى الى بغداد فنفي مع ٢٢ شخصاً من اهل بيته واتباعه فألقوا عصا ترحالهم في غرة محرم الحرام عام ١٢٦٩ ﻫ (١٤ تشرين الأول ١٨٥٣م) أما اخوه المرزه يحيى نور فقد اختفى في ايران ردحاً من الزمن وبقي متجولا فيها بزي الدراويش حتى ساعدتهُ الظروف على الالتحاق بأخيهِ ايام نفيه في الاستانة بعد اقامته في بغداد تلك الإقامة التي جعلت اهالي بغداد بما فيهم من علماء وفضلاء يلحون على الحكومة العثمانية وعلى الحكومة الإيرانية بواسطة سفيرها في بغداد ان تسفره من بغداد .

أما سبب اختفاء المرزه يحيى نور في ايران وعدم ظهوره الا في الاستانة فقد كان حيلة مدبرة لا تخلو من فائدة لترويج المذهب البابي ومن محافظة على الخليفة المنصوب بعد الباب . وقد علمنا مما تقدم ان المرزه يحيى نور هو الشخص الذي رشح للزعامة وان المرزه حسين علي لم يكن الا وكيلا له ولكن خشية الفتك بهِ واغتياله من قبل الحكومة ، جعلت زعماء البابيين يفكرون في حفظ سلامة الخليفة فقرّ رأيهم على ان يتخفى متجولا في زي الدروشة وان لا يتصل بأحد وان تجري المكاتبة بينه وبين المرزه حسين علي فقط ولهذا السبب كان يلقب بالغائب وبهذه الحيلة نجا المرزه يحيى نور من فتك الحكومة به .

ولقد كانت اقامة المرزه حسين علي في بغداد (الذي ولد في طهران في ٢ محرم الحرام ١٢٣٣ﻫ الموافق ١٣ تشرين الثاني ١٨١٧م) مثاراً للفتن ومدعاة لتسرب الشك الى نفوس بعض العوام من الناس فغادر بغداد خلسة في عام ١٢٧١ ﻫ (١٨٥٤م) الى المناطق الشمالية الكردية وظهر هنالك بشكل شيخ متصوف واتخذ من جبل (سر كالو) مقراً يؤدي فيه اوراده ويقوم فيه بأدوار عباداته . وكان يتردد أحياناً الى بلدة السليمانية فأثار العلماء حفيظة الدولة العثمانية عليه وقام العالم الفقيه الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف (بشيخ العراقين) واتفق مع سفير ايران في بغداد على ان يقوما بمخابرة بين الدولتين الإيرانية والعثمانية بشأن اقصاء (المرزه حسين علي) واخراجه من ارض العراق التي اصبحت بمكثه فيها مرجل فتن واضطرابات داخلية . وكانت ايران في ذلك الوقت على مناسبة حسنة مع الدولة العثمانية وعلى انقياد تام لأوامر العلماء في العراق وكانت ترى في الوقت نفسه ان في بقاء المرزه حسين علي

وصحبه في العراق على مقربة من البلاد الإيرانية ما يزيد الفتن والاضطرابات في بلادها والأمور لا تزال غير مستقرة هناك . وعلى هذا الأساس اتفقت الدولتان على تسفير البهاء وصحبه الى الاستانة فبلغوها في ربيع الأول ١٢٨٠هـ (٣ اغستوس ١٨٦٣م) واقاموا فيها نحو أربعة اشهر جرى خلالها حادث خطير جداً .

حركة الانفصال

وذلك ان المرزه يحيى نور الغائب المتشرد علم بوجود اخيهِ في الاستانة فجدّ في الرحيل اليها وبلغها بعد أيام قليلة وكانت هذه التطورات قد خلقت من المرزه حسين علي زعيما مطلقا لا يفكر معهُ بزعيم آخر وكادت فكرة الغائب المتخفي تنمحي من الأذهان ولم يعد المرزه يحيي وهو الزعيم الأصلي ليذكر بجانب ماحصل لأخيهِ الوكيل من الشهرة والاستقلال بالزعامة . فلما وصل الاستانة واجتمع بأخيه ، وجد الأمور قد تغيرت فطلب منهُ أن يتخلى لهُ عن الامر وان يترك الزعامة لوليها الأصلي وصاحبها المنصوص عليه . الا ان المرزه حسين علي كان قد تذوق طعم الرياسة وخفقت النعال من خلفه فأبى ان يتنازل لأخيهِ فحصل بينهما نزاع وافترق الأخوان في المنزل وصار كل منهما يشتغل على حسابه ويطعن في الآخر فحصل من هذا النزاع اضطراب في حبل الأمن اضطرت الحكومة من اجله إلى ان تسفرهما الى ادرنه التي تدعى (بأرض السر) عند البابيين فوصلاها في اول رجب ١٢٨٠ (كانون الاول ١٨٦٣) وعاد بينهما في تلك الديار ذلك النزاع العظيم واستمرّ خمسة اعوام حصل خلالها من الاختلال في أدرنه ما حصل في الاستانة فاتفق الباب العالي والسفارة الإيرانية على التفريق بينهما ونفي كل منهما إلى جهةٍ فأرسل المرزه حسين علي إلى عكا مع اتباعه الذين بلغ عددهم ٧٢ نسمة فوصلوها في ١٢ جمادى الأولى ١٢٨٥ (٣٠ اغستوس ١٨٦٨ م) ونفي المرزه يحيى نور الى جزيرة قبرص في السنة نفسها وبقي هناك الى ان وافاه الأجل في عام ١٩١٢م .

بهذا التدبير استقرّ كل من الأخوين في ناحية منقطعة عن الآخر واستعملت معهما الحكومة المضايقة والمراقبة الشديدة فلم تسمح لهما بالتجول والاختلاط بالناس ولكن ادارة الموظفين العثمانيين في هاتيك الأيام لم تكن حازمة ، فقد تمكن البابيون بطرق شتى من اعادة الحرية لهم ورفع التضييق عنهم . وكان المرزه يحيى نور في قبرص يتربص بأخيهِ في عكا الدوائر ويرسل عليهِ الرقباء والعيون ويحاول أن يفتك بهِ وبأصحابه على حين غفلة . ولم يكن المرزه

حسين علي في غفلة عن هؤلاء الرقباء وبما نالهُ من المركز في عكا ومن عطف امراء العثمانيين عليه بواسطة ما اسدى اليهم من مال ، كان يستطيع أن يفتك بكل من يناوئه في تلك الديار فهاجم تلك الثلة التي كانت تراقبه وتكيد له وقضى على البقية الباقية من اتباع اخيه في عكا فاستقر له الأمر وصار في وسعه أن ينشر الدعاية لمذهبه .

أما الحكومة العثمانية فقد ضايقت المرزه حسين علي وأصحابه عندما فتك بأصحاب اخيه ولكنها عادت فأطلقت سراحهم وتركتهم في حرية من الدعوة لمذهبهم فأخذ المومى اليه يؤلف الكتب ويتظاهر بالادعاءات الكبيرة فكان خليفة للباب في بدء دعوتهم ثم انتقل الى الإدعاء بأن الباب انما جاء ليبشر بهِ كما جاء يوحنا المعمدان ليبشر بالمسيح . ولم يقتصر على هذا الحد من الادعاء بل ترقى الى ان ادعى بأنهُ المهدي المنتظر وانهُ هو الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجوراً ، وكانت نفسه طامحة الى ما فوق ذلك ما دامت ادعاءاته تلاقي قبولا من انصاره واتباعه فادعى النبوة الخاصة اولا وتدرج منها الى النبوة العامة وارتقى الى مرتبة الألوهية المطلقة فكان هو الله في الأرض بعد ان كان مظهراً من مظاهره . وفي كل هذه الادعاءات كان الذين يؤمنون بهِ يتلقون دعوته بالإذعان والقبول . ولم يشأ (الرب المطلق) ان يترك عباده وامته من بعده فوضى بدون كتاب أو مرشد فألف عدة كتب كان آخرها (العهد) الذي اودعه وصيته ونص فيه على ولاية العهد لولده (عباس افندي) ثم لولده الثاني المرزه محمد علي . وقد حظر فيهِ ادعاء الربوبية الى ألف عام وبذلك ضمن لنفسه الألوهية لمدة عشرة قرون . وأصبح بعد هذا التطور الذي ادخله على مذهبه وعقائده يلقب نفسه بـ(البهاء) مدعيا ان الباب واسطة الى الله أما هو فبهاؤه فكان إذا مشى في الطريق اسدل على وجههِ برقعاً لئلا يشاهد بهاء الله المتجلي في وجهه وبهاء الله لا يرى بالأبصار ، ولذا اصبح اتباعه يلقبون بالبهائية اما اتباع اخيه المرزه يحيى نور فصاروا يدعون بالأزلية نسبةً إلى اللقب الذي كان يلقب بهِ نفسه وهو يحيى نور صبح أزل . وندعي البابية أو البهائية ، ان البهاء لم يقتصر بدعوته على البلدان التي كان يقيم فيها بل كان في ايام اقامته في عكا يراسل الملوك والأمراء ويدعوهم الى الإيمان بمذهبه . ويظهر للمتتبع ان دعوته لم تلاقِ قبولا لا من الملوك ولا من الأمراء ولا من الوزراء .

— نظرة عامة —

يظهر للمتتبع للتطورات التي تمخضت بها البابية في جميع ادوارها حتى وصلت إلى

دور البهاء انها لم تكن الا فكرة وجدت وسطامستعدا للإنقلاب فكانت وسيلة لتنفيذ المقاصد والأغراض . فإيران بل وبلاد الدولة العثمانية كانت في ذلك الحين تستعد للانقلاب الدستوري العظيم وسياسة الغرب كانت تضع المسألة الشرقية في اول مواضع النظر وتعدلها من شتى الطرق الوسائل والتدابير فليس ببدع ان ترى البابية تلعب دوراً مهماً في أرض داريوس ونرى الحكومة الإيرانية تجعلها كهدف تعالج القضاء عليه . وإن القوة التي اكتسبتها البابية في بلاد فارس وفي قسم من بلاد الدوله العثمانية والضعف الذي طرأ عليها بعد ذلك ولا سيما قبيل موت البهاء ، كل ذلك يدلنا على أنها فكرة وقتية أنشأتها ظروف إيران السياسية واستعملتها لقضاء مآربها وقتا ثم لما قذفت بها في قاب الدولةالعثمانية ، لم تجد الفكرة تلك الظروف المناسبة التي تجعلها تنتشر وتتوسع وتبنى على ما أسسه الباب . لهذا نجد الرجل الثالث الذي سنتكلم عنه بعد حين ، وهو عباس افندي يقوم بكل ما أوتي من كياسة ودهاء في نشر مذهبه من ناحية اخرى ويتوسل الى غايته من غير الطرق القديمة ويدمج المبادئ الاجتماعية العامة (كمبدأ السلم العام ومبدأ الحرية والمساواة) في مذهبه ملاحظا ان الفكرة الدينية الأولى لا تستطيع ان تخطو بصورتها القديمة سني الحرب الكبرى ولا ان تجتمع مع التطور الفكري الذي سيحدث بعد هذا الإنقلاب العالمي .

— عباس افندي —

مات البهاء في فجر اليوم الثاني من ذي القعدة ١٣٠٩ هـ (٢٨ ايار ١٨٩٢ م) على أثر مرض عضال الم به فلم يمهله اكثر من تسعة عشر يوما تاركاً من بعده اربعة بنين وثلاث بنات كان اكبرهم سناً (عباس افندي) الذي لقب نفسه بعبد البهاء والذي تولى زعامة الطائفة البهائية بوصية من ابيه (المرزه حسين علي) وكان رجلاً مفكرا نافذ البصيرة يقدر للأمور عواقبها ويعرف كيف يثبت اركان زعامته وكيف يصبغ عقائده بصبغة تمكنه من ترسيخها في الاذهان وتجعلها مقبولة عندالناس وقد ولد (عباس افندي) في ٢٩ آذار ١٨٤٤م وتوفي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٣ فكان عمره ٨٧ عاماً وكانت مدة تزعمه للمذهب البهائي ٢٩ سنة رحل خلالها عدة رحلات كانت سبباً في تثبيت دعائم المذهب . ولم يتركه القدر في بدأ زعامته من منازع يزاحمه في أمر الرئاسة على نحو ما حصل لأبيه . فقد حدث عندما مات البهاء ان قام المرزه محمد علي النجل الثاني للبهاء فنازع أخاه الذي نص ابوه على ولايته وادى

ذلك النزاع الى انشقاق في صفوف هذه الطائفة . وهكذا تقطع هذه الشرذمة سني التاريخ بين انقسامات واختلافات فلا يكاد يتغلب مذهب زعيم حتى يحدث عند وفاته مذهبان شأن المبادئ غير المستقرة . ولولا ما قام به (عبد البهاء) من الرحلات في الديار الغربية وما اقتبسه من أساليب التفكير وما أدخله من المبادئ الاجتماعية على مذهبه وما وهبه الله من جمال في الصورة وذكاء مفرط في التفكير ، لأصبحت البابية خبرا من اخبار التاريخ وأثرا بعد عين ولكن دهاؤه دفعه لأن يحول عقيدته الدينية الى مبادئ سياسية واجتماعية عامة ورأى ان الظروف التي فاجأتها الحرب كانت ظروفا مستعدة لتلقي أمثال هذه المبادئ فكان يبشر بوحدة الاديان ورفع الفوارق بين المذاهب والنحل . وكان يدعو الى السلم العام ذلك المبدء الذي كان حديث الخاص والعام . وبهذا انتصر على اخيه وانفرد بالأمر زعيما مطلقاً .

وقد صادف (عبد البهاء) في زيارته للقاهرة عام ١٩١١ في طريقه الى الديار الغربية تعضيدا من بعض ذوي النفوس التي لا تقوى على مجابهة الحقائق العلمية فتستسلم لكل ما يعرض عليها فكان ذلك احد العوامل التي شجعته على الاسترسال في رحلته وبث الدعوى لمذهبه . فزار اوروبا واميركا واجتمع باقطاب السياسة وعلماء الاجتماع ورأى فيه الغربيون ما يرونه عادة في دعاة الاصلاح والمبشرين بالسلام فعاضدوا دعوته ونشطوا فكرته ولا سيما حين اخذ يلبس مذهبه صبغة اجتماعية تحبب اليه النفوس فكانت آراؤه تقبل عن طريق النصح والإرشاد دون ان تكون ذات صبغة دينية بحتة . ومع كل هذا فإن الطبقة العامة في الغرب لا تختلف كثيراً عن سواد الشرقيين فقد تلقت مبادئه في اميركا خاصة وفي قسم من بلاد اوروبا بصورة دينية ولكنها اظهرتها بصورة تلائم فكرة الغربي واعتبرتها من مبادئ التصوف الحديث الذي يرتكز على المبادئ الإنسانية العامة فلم تكن رحلته خائبة ولم يكن تجواله في الغرب مقتصرا على التنزه .

بهذه الأساليب الخلابة استطاع (عباس افندي) ان يوجد له دعاة في عواصم الشرق والغرب وان يجعل مذهبه حديث الصحف والمجلات وسواد الناس من ورائها . وعاد من رحلته في الديار الغربية الى (عكا) وهو على يقين من نجاحه واطمئنان من رواج مذهبه او مبادئه فبلغها في الخامس من كانون الاول سنة ١٩١٣ ثم جاءت الحرب الكونية العامة بهولها

وفجائعها مؤيدة له فكان شخصية من الشخصيات العاملة في الشرق وكان الحلفاء يحتاجون إلى امثاله فيستخدمونهم في بث الدعاية لهم و كسر القوة المعنوية لعدوهم فكان من اخلص الاعوان والمناصرين وكان ممن انعمت عليه الحكومة البريطانية لقاء خدماته الجلي ومساعدته لها أيام الحرب بوسام فارس الامبراطورية البريطانية اعترافا له بما اسداه إلى الحلفاء من المساعدات الثمينة التي جعلتهم يخرجون من هذه الحرب الضروس وهم ثملون بخمرة الظفر .

اما المذهب البهائي فبعد أن البس حلة اجتماعية وخرج من حظيرة الدين البحت لم تعدله تلك المكانه في نفوس السواد واصبح فكرة تدرس في الكتب وتطالع في الصحف والمجلات وماث عباس افندي موصيا بالزعامة لحفيده شوقي افندي الرباني فلم نسمع ان قام هذا الرجل بما يشجع المذهب على السير والتقدم واصبحت قيمة المذهب علمية تفكيرية أكثر منها اعتقادية دينية . وبحثنا عنها انما جاء من هذه الناحية فحسب قصد أن نستجلي حقيقة من حقائق التاريخ الشرقي وحركة من حركات جمعياته الهدامة وان كانت الصحف والمجلات قد بحثت عنها من ناحية أخرى تاركة ربط الحوادث بأسبابها غير ناظرة في الظروف التي نشأت فيها هذه الفكرة وإلى النتائج التي ولدتها في بلاد فارس وغيرها من المدن التي تغلغلت فيها .

— كعبة البابية في العراق وعددهم —

ويجمل بنا أن نذكر هنا ان اقامة البهاء في بغداد عام (١٨٥٣) لم تكن خلوا من الفائدة لمذهبه فقد ذكرت بعض المصادر انه عندما وصل بغداد نزل في دار بمحلة الحيدرخانة فكان موضع مراقبة الناس وحصلت له بعض التحرشات من سكان المحلة اضطرته إلى ان ينتقل إلى جانب الكرخ من المدينة فاستأجر بيتا بمحلة الشيخ بشار وبقي فيها أيام اقامته وتردده إلى جبال (سركلو) في شمالي العراق . فلما سافر إلى الآستانه على نحو ما سلف ذكره ، اتخذ اتباعه تلك الدار محلا مقدسا لهم يحجون اليها كما جاء في (البيان) من تقديس كل محل يحل به زعيم المذهب واستمر هذا المحل عامرا بالمترددين حتى عام ١٩٢٤ ولكن كثرة التردد على هذه الكعبة الجديدة وإقامة الشعائر البابية في وسط بلاد وحكومة لا تعترف بهذا المذهب اضطرت العلماء إلى ان يرفعوا الدعوى إلى المقامات العالية وان يلفتوا نظر الحكومة إلى أن هذه

الدار ليست بملك للبابيين رغم وجود آثار طقوسهم الدينية فيها وأبلى علماء الشيعة في انتزاعها من أيديهم البلاء الحسن وهي اليوم ملجأ عام لفقراء المسلمين .

أما عدد نفوسهم فقد بالغ البعض منهم في عددهم ورأى انهم يبلغون في فارس وحدها مائة الف نسمة وان لهم جماعات أخرى في مصر والهند واميركا وغيرها من البلاد يتجاوزون الملايين ولكنه عدد مبالغ فيه وآت عن نزعة دينيه بحتة . والحقيقة التاريخية التي يجب ان تثبت والتي أستند في اثباتها إلى ما وقفت عليه من المصادر الموثوقة ، وإلى ما سمعته من رجال البابيين أنفسهم هي ان عددهم في جميع الأوساط العالمية لا يتجاوز ثلاثين الف نسمة على ما هم عليه من تشتت في الآراء والمعتقدات وعلى ما يبدو من النقص المستمر بواسطة رجوع الكثيرين منهم إلى حظيرة الأديان الكبرى وبواسطة دخول فكرتهم بين الفكر الاجتماعية التي سرعان ما تترك ما دامت فاقدة صفتها التقديسية الروحية وهل ادل على ذلك من رجوع عظيم من عظمائهم ومفكر من خيرة مفكريهم إلى حظيرة الإسلام وتأليفه كتاباً ضخما ضمنه الرد على البابيين وتسفيه آرائهم ومعتقداتهم بعد ان كان زعيما يشار اليه بالبنان وينتظر السواد ما يمليه عليهم من افكار وآراء وتعاليم جديدة ، ذلك هو الشيخ عبد الحسين آيتي .

هذا ما حاولنا ان نثبته خدمة للتاريخ وحبا باظهار الحقيقة غير متحيزين ولا متحزبين تاركين حرية النظر للقراء والباحثين معتقدين ان الحقيقة المطلقة لا يمكن الوقوف عليها وكم ترك أول الباحثين لآخرهم من مجال ؟؟




Bibliotheca Alexandrina
0379738